بعدَ الشدةِ
فرَجٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

صروف الليالي وتقلُّب الأيام يُعقب تبدُّلَ أحوال المرءِ، ونزولَ الشدائد، وحلولَ الكُرَب، ويتخلَّلها من الغموم والهموم ما يستحوذ على صاحبها، ويسوءُه في نفسه أو ولده أو جسمه أو صحته وعافيته، أو عِرْضه، أو ماله، أو بلده، فيضيق بها صدرُه، ويلتمِس تفريجَها، وكشفَ ضُرِّها، فيذكر قولَ ربه الأعلى ﷻ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧]. **ويذكر قولَه** ﷻ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤]؛ **فيستيقن أنه** ﷻ **المنجي من كل كرب، الكاشف لكل ضُرّ، المغيث لكل ملهوف؛ فيتوجَّه إليه بالدعاء متضرّعًا مخلصًا خاشعًا خاضعًا، مُخبِتًا متحرّيًا أوقاتَ الإجابة، مستيقِنًا إجابةَ دعوته، لأنه علم أن بعد الشدة فرجًا.**

عناصر الموضوع

١ الدنيا دار ابتلاء.

٢ لا مفر من البلاء ولا مهرب

٣ الاستفادة من البلاء مطلب شرعي.

٤ سبل وطرق مدافعة البلاء.

٥ عشرة مفاتيح للفرج بعد الشدائد

٦ قد لا يأتي الفرج في الدنيا!

٧ كيف يأتي الفرج في الدنيا!

٨ علامات اقتراب الفرج بعد الشدة.

٩ كل هم إلى فرج نتعلم من خلال قراءة قصص الأنبياء

الدنيا دار إبتلاء

إن الإنسان ما دام في هذه الدنيا فهو عرضة للرزايا، وهدف لسهام البلايا، التي تطوقه بقيودها حينًا، ثم تطلقه من أسرها حينًا آخر، ولايزال كذلك بين يدي السراء والضراء حتى يوافيه أجله؛ لأنه لن يصفو عيش من كدر إلا في الجنة، أما في دار الفناء فذاك مطمع لا يُنال. وفي ظلمات الشدائد التي تغشى المرءَ يلتفت حينها يمنة ويسرة فلا يرى إلا ظلامًا متراكمًا، لا يجد من كثافته خيوط ضياء تهديه إلى النجاة، يبلغ به الكرب درجة اليأس من الفرج، واليأس من تبدلِ الحال من الضيق إلى السعة، بل قد يعترض على الأقدار ويسوء أدبه مع مقدِّرها. وهذه حال الإنسان، إذا ألحَّ عَلَيْهِ الْغم، وضيق الصَّدْر، وَتعذر الْأُمُور، حَتَّى يقنط، إلا مَنْ مَنَّ الله عليه بالصبر والإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾ [الروم:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء:٨٣]. لكن المؤمن الصابر، الراضي عن الله يوقن بأن ظلمة الشدة مهما طالت فسيأتي فجر الفرج لا محالة، فسنة الله قد جرت في هذه الحياة أن الفرج يتلو الشدة، وأن العسر يعقبه اليسر، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشرح:٥-٦].

لا مفر من البلاء ولا مهرب

إن البلاء نازل بالعبد لا محالة، فهذه سنة الله في خلقه، عن طرق مدافعة البلاء، والصبر عليه، والرضا به. تقدير الله للبلاء لمقاصد وفوائد عديدة لا بد للمؤمن أن يستعد للبلاء، فيكون على قدر من الإيمان بالله، والتوكل عليه، فيرضى بقضاء الله، ويسلم له، ويصبر حتى ينكشف فينال بذلك الأجر، وينجح في الامتحان؛ لأن البلاء إذا أصاب العبد ولم يكن مستعدًا له بقوة الإيمان فشل فيه، وأصابته الحسرات، وباء بالندامات، ولربما تَسَخَّطَ على ربه، وربما خرج من الدين –والعياذ بالله.

الإسفادة من البلاء مطلب شرعي

فالمؤمن يخرج من البلاء وقد محص وزاد إيمانه وغفرت ذنوبه، فالله لا يبتلينا ليعذبنا، وإنما يبتلينا ليمحصنا، فمن كان يعلم أنه سيبتلى، فعليه أن يتعلم من خلال هذه النقاط:

الأولى: أن نعلم أن البلاء من الله، وهو الذي قدره.

الثانية: أن نعلم أن البلاء لا مفر منه ولا مهرب، فالله هو الذي قدره، وهو الذي أراده، وإذا أراد الله شيئًا فلا مردَّ له.

الثالثة: أن الله يقدر البلاء لمقاصد عظيمة، وفوائد جمة، قد يكون ظاهر البلاء شرًا على العبد، ولكنه في باطنه الفلاح والنجاح.

وليتبين لك هذا جليًّا، تأمل ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب قال:

«قُدِم رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى، إذْ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟» قلنا: لا والله، فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

قُدم رسول الله ﷺ بسبي، يعني أنه أُتي بسبي، أي: عبيدٌ، وهم أسرى الحَربِ، قيلَ: هم أسْرَى هَوازِنَ، والسبي هو ما يؤخذ من الكفار من ذراريهم ونسائهم في الحرب. فإذا امرأة من السبي تسعى، وهذا كان بعد غزوة الطائف، وفي بعض الروايات أنها تبتغي، يعني أنها تطلب، فهي تجول بين السبي إذْ وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألزقته ببطنها، وفي بعض روايات الحديث: إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، بمعنى أنها تفعل ذلك بالصغار، إذا وجدت أطفالًا من الرُّضع في السبايا فإنها تأخذهم وترضعهم، شفقة عليهم وحنوًّا، وتفعل ذلك من أجل أن تتخلص مما قد لديها من الحليب، فلابد من إخراجه، والمقصود أن هذه المرأة إن كانت تفعل ذلك بغير أولادها فوجه الحديث ظاهر، وهو أن النبي ﷺ قال: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» يعني إذا كانت تفعل هذا بأولاد الناس، ترضعهم وتلزقهم ببطنها شفقة ورحمة وحنوًّا، فكيف تصنع بولدها؟! فوظَّف رَسولُ اللهِ ﷺ هذا المشهَدَ ليُبَيِّنَ للحاضِرينَ سَعةَ رحمةِ اللهِ ﷻ، وذلك بأن سألهم: أتَظُنُّون أنَّ هذه المرأةَ راميةٌ ولَدَها هذا في النَّارِ مُختارةً، وهي تَقدِرُ على ألَّا تَرمِيَه فيها؟ فأجاب الحاضِرون: لا تَطرَحُه في النَّارِ طائعةً أبدًا، فقال ﷺ: لَلَّهُ أرحَمُ بعبادِه –أي: المؤمِنين– مِن هذه المرأةِ بوَلَدِها.

---

١ الراوي: عمر بن الخطاب | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٩٩٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

اللهُ ﷻ واسِعُ الرَّحمةِ، جَزيلُ العَطاءِ لِمَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا، فمهْما بَلَغتْ ذُنوبُ العَبدِ وكَثُرتْ خَطاياهُ، ثمَّ تابَ وأنابَ إلى اللهِ؛ تابَ اللهُ عليه، وقَبِلَه وأجْزَلَ له المَثوبةَ. والله أرحم بعباده من هذه بولدها، فهل تراه يبتليهم بالبلاء والمصائب وهو رحيم بهم إلا لأن هذا البلاء رحمةٌ بهم وأنفع لهم في دينهم ودنياهم.

الرابعة: أن هذا البلاء يصقل إيمان العبد، ويمحص ما في قلبه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فهذا التمحيص يتبين منه المؤمن من المنافق، وليتبين قوي الإيمان من ضعيفه، ففي وقت الرخاء الكل يحسن التنظير، والنصح، والتوجيه، وإذا وقع البلاء تبين الصادق من الكاذب، حتى العبد نفسه يتبين له صدق إيمانه من ضعفه.

الخامسة: أن الله يبتلي العبد ببلاء ليرفع عنه بلاءً أعظم، فالبعض يريد أن يسافر مثلًا، فيمرضه الله بمرض يصرفه عن السفر الذي قد يكون فيه هلاكه لو سافر، أو يبتليه بمرض ليدفع عنه مرضًا أعظم، كمن يُبتلى بالضغط أو السكر، فينتبه لنفسه ويحافظ على صحته، إذ لو ترك بلا حمية لربما أصابته جلطة.

وهكذا تتبين رحمة الله لعباده التي يجهلها كثير من الخلق، ولو تبينت لهم لحمدوا الله على البلاء كما يحمدونه على النعم. وغيرها من النقاط التي تتضح للمتأمل لتدبير الله لخلقه ﷻ.

سبل وطرق مدافعة البلاء:

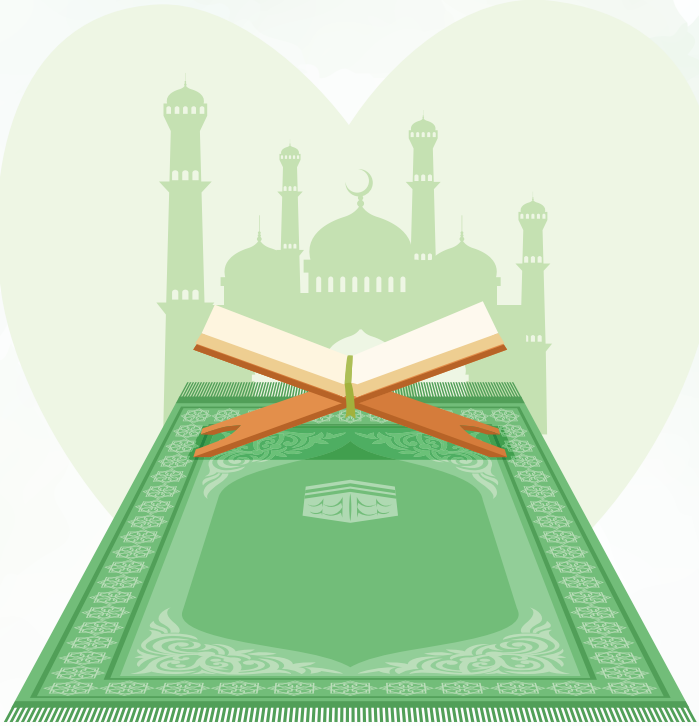

لا شيء ينجي العبد من البلاء مثل التقوى، والمتأمل لنصوص الكتاب والسنة يرى ذلك جليًّا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [الطلاق: ٤]، **وقال:** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾ [الطلاق: ٥]، **وقال:** ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ [الطلاق: ٢]، **فمن اتقى الله جعل له من أمره يسرًا، فتيسر له كل عسير، ومن اتقى الله جعل له من كل ضيق مخرجًا، ومن اتقى الله فوقع عليه البلاء كفَّر عنه سيئاته وأعظم له أجرًا، فماذا يريد العبد أكثر من ذلك؟**

عشرة مفاتيح للفرج بعد الشدائد:

كلنا يعيش الأزمات المتلاحقة، فقد تضيق الدنيا في عيون البعض، وعرفنا أن الأزمات والابتلاءات لم تأتِ إلا اختبارًا للعباد، تأتي ليظهر الله تعالى عباده، وعندما يشتد الضيق ضيقًا، ويزيد الهم همًا، فلا يلبث إلا ويلاحقه الفرج.

وهناك عدة خطوات لخروج الإنسان من حالته الحزينة المهمومة:

١-أن نلجأ لله تعالى ساعة الكرب ولا نلجأ للعباد، نلجأ للسميع، البصير، القادر على خلاصنا من أحزاننا، العليم بحوائجنا، الرحمن الرحيم ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ...﴾ [الأنعام من الآية:٤٣].

٢- حسن الظن بالله تعالى والثقة بأن الذي يُذهب ما نحن فيه هو سبحانه لقوله في الحديث القدسي: «قال اللهُ تعالى: أنا عند ظنِّ عبدِي بي إنْ ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ»[1].

وعدم اليأس، والأمل فيما عند الله والصبر والصمود أمام التحديات وانتظار البشرى التي وعد الله تعالى بها عباده الصابرين عندما قال في كتابه الكريم ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة:١٥٥].

٣- الدعاء المتواصل، يقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢﴾ [النمل:٦٢] **ويقول سبحانه أيضًا** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[البقرة:١٨٦].

٤-ملازمة الاستغفار لقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ١٢﴾[نوح: ١٠-١٢].

٥-ذكر الله كثيرًا لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾[الرعد:٢٨]. **فذكر الله تعالى يغير القلوب من حال لحال فالذكر يملؤها بالطمأنينة والسكون والراحة بدلًا من التوتر والقلق والخوف، وأعظم الذكر قراءة القرآن.**

---

١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: ٤٣١٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه ابن حبان (٦٣٩) واللفظ له. وأصله في صحيح البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

٦- مناصرة المحتاج ومعاونته، فعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: «من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُربِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن سَترَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخرةِ، واللَّهُ في عونِ العَبدِ، ما كانَ العَبدُ في عونِ أخيهِ»[١].

فعند الشدة والضيق يجد العبد الله ﷻ عونًا له في شدته، لأنه لم يترك ذلك المحتاج، ولم يدخر نفسه وقت حاجه الناس له.

٧- التوكل على الله لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[الطلاق:٣] فالذي يتوكل على الله فهو يكفيه ويغنيه عن سؤال الناس، عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»[٢].

٨- بر الوالدين، والإحسان إليهما؛ ففي البر منجاة من مصائب الدنيا، بل هو سبب تفريج الكروب وذهاب الهم والحزن كما ورد في شأن نجاة أصحاب الغار، وكان أحدهم بارًا بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده.

٩- رد المظالم، ورعاية الأمانات، وأداء الحقوق، ولا شك أن رد الأمانات والحقوق ورعايتها دفع للحجاب بينك وبين استجابة الدعاء وكشف البلاء، وفيه تنقية للنفس مما يتعلق بها من رغبات الدنيا والتكالب على متاعها، خصوصًا

---

١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ١٩٣٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه الترمذي (١٩٣٠) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٦٩٩) مطولًا.

٢ (الجامع الصغير [٧٤٢٠]).

عندما لا تكون من حقه، وقد حرص سلفنا الصالح على ذلك بصورة شبه دورية، فيتدبرون الحقوق التي عليهم، ويرعون الأمانة التي في أعناقهم، ويردون المظالم التي علقت بهم.

١٠- تجنب الظلم ودعوة المظلوم، فكم من ظلم اقترفناه ونحن غافلون عن عقوبته، وكم من ضعيف أهملنا أمره في ذلك، فمن أراد تفريج كربه فليراعِ حاله، وليجتنب الظلم، فلا يظلم أخ أخاه في ميراث أو أي شيء يكتسبه دون رضاه، فمن الدعوات المجابة دعوة المظلوم؛ «إن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثَ معاذَ بنَ جَبلٍ إلى اليمَنِ، فقالَ: اتَّقِ دَعوةَ المظلومِ؛ فإنَّهُ ليسَ بينَها وبينَ اللَّهِ حجابٌ»[١].

وقد حذر ديننا العظيم من الظلم أشد التحذير، وبين آثاره السيئة، وعواقبه الوخيمة ونتائجه المدمرة، على صاحبه. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ، فإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ علَى أنْ سَفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحَلُّوا مَحارِمَهُمْ»[٢].

يَنْهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مَساوِئِ الأخلاقِ، وأمَرَ النَّاسَ باجتنابِها والبُعدِ عنها، والخَوفِ مِن الوقوعِ فيها، وخاصَّةً الأمراضَ الَّتي تَكادُ أنْ يَهلِكَ بها صاحبُها في الدُّنيا والآخرةِ. وفي هذا الحديثِ يأمُرُنا النَّبيُّ ﷺ بأنْ نَتَّقي الوقوعَ في الظُّلم، وهو كلُّ أذًى يَتسبَّبُ فيه المسْلمُ لغَيرِه، سواءٌ كان إنسانًا أو حيوانًا، فَيأمُرُ المسْلِمينَ بالخوفِ والحذَرِ وَالابتعادِ عنه، ثمَّ بيَّن ﷺ سَببَ تَحذيرِه مِن الظُّلمِ؛ وهو أنَّه يكونُ ظُلماتٍ يومَ القيامةِ على صاحبِه، لا يَهتدِي بِسَببِها، على حِين

---

١ الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: ٢٠١٤ | خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه الترمذي (٢٠١٤) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٢٤٤٨) باختلاف يسير، ومسلم (١٩) مطولًا باختلاف يسير.

٢ الراوي: جابر بن عبدالله | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٢٥٧٨ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

يَسْعى نورُ المؤمنينَ بيْن أيْديهم وبأيمانِهم، ويَحتمِلُ أنَّ الظُّلماتِ هنا الشَّدائدُ والأهوالُ الَّتي يكونُ فيها الظَّالمُ، ويَحتمِلُ أنَّها عِبارةٌ عن الأنكالِ والعُقوباتِ.

ومِن الأخلاقِ الَّتي حذَّرَ النَّبيُّ ﷺ منها: «الشُّحُّ»، وهو البُخْلُ عن أداءِ الحقوقِ والواجباتِ الماليَّةِ، مع الحرصِ على ما ليْس له، وهو نوعٌ مِن الظُّلمِ، وقيل: البُخلُ يَصلُحُ وصْفُه لأشياءَ بعيْنِها، أمَّا الشُّحُّ فهو عامٌّ؛ فيكونُ مثلًا البخلُ في المالِ، والشُّحُّ في كلِّ شَيءٍ، فيكونُ الشُّحُّ صِفةً لازمَةً للشَّخصِ، بخِلافِ البُخلِ، فيكونُ صِفةً لبعضِ أفعَالِ الشَّخصِ، ثمَّ بيَّن سَببَ نَهيِه عن الشُّحِّ بأنَّه أهلكَ مَن كان قبْلَنا مِن الأُممِ؛ فَداؤُه قديمٌ، وبَلاؤُه عظيمٌ، فقدْ حَمَلَهم وبعَثَهم الشُّحُّ والحِرصُ على الدُّنيا على أنْ سفَكُوا وأراقوا دِماءَ بعضهم بعضًا، وحَمَلهم الشُّحُّ أيضًا على أنِ استحَلُّوا مَحارِمَهم، ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ بالمحارمِ: جميعُ ما حرَّمَه اللهُ عليهم أو بعْضُه، كما حرَّمَ اللهُ تعالَى الشُّحومَ على اليهودِ، والصَّيدَ يوْمَ السَّبتِ، إلَّا أنَّهم اسْتَباحوا ما نُهُوا عنه، ويَحتمِلُ أنَّ المرادَ: اتَّخَذوا ما حرَّمَ اللهُ مِن نِسائِهِم حَلالًا، أي: فعَلوا بهنَّ الفاحشةَ.

وروى أبو داودَ عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضي الله عنهما قال: خَطَب رَسولُ اللهِ ﷺ، فقال: «إيَّاكم والشُّحَّ؛ فإنَّما هَلَكَ مَن كان قبْلَكم بالشُّحِّ؛ أمَرَهم بالبُخلِ فبَخِلوا، وأمَرَهم بالقَطيعةِ فقَطَعوا، وأمَرَهم بالفُجورِ ففَجَروا»، فالشُّحُّ أصْلُ المَعاصي؛ ولذا قال تعالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وقيل: إنَّما كان الشُّحُّ سببًا لِذلكَ؛ لأنَّ في بذْلِ المالِ ومُواساةِ الإخوانِ التَّحابَّ والتَّواصلَ، وفي الإمساكِ والشُّحِ التَّهاجُرَ والتَّقاطُعَ، وذلك يُؤدِّي إلى التَّشاجُرِ والتَّعادِي مِن سفْكِ الدِّماءِ، واستباحةِ المحارمِ مِنَ الفُروجِ والأعراضِ وفي الأموالِ وغيرِها. وفي الحديثِ: النَّهيُ عَنِ الظُّلمِ، والحثُّ على ردِّ المظالِمِ.

شرح حديث: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَومَ القِيامَةِ..» من موقع موسوعة الدرر السنية.

– وعن أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم: الصَّائمُ حتَّى يُفطرَ، والإمامُ العادلُ، ودعوةُ المظلومِ يرفعُها اللهُ فوق الغمامِ، وتُفتَّحُ لها أبوابَ السَّماءِ، ويقولُ الرَّبُّ وعزَّتي لأنصُرنَّك ولو بعد حينٍ»[1].

إنه لا يجوز للمسلم أن ييأس ويقنط من رحمة الله تعالى، وحثّنا الله ﷻ على الدعاء في آيات كثيرة من كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَلَرُبَّ نَــــازِلَةٍ يَضيـــقُ لَها الفَـتى .:. ذَرعًـا وَعِندَ اللهِ مِنها المَخرَجُ
ضــاقَت فَلَمّـا اِستَحكَمَت حَلَقاتُها .:. فُرِجَـت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ[2]

إنّها لمّا اشتدّت وضَاقَ صَدْرُهُ بِالهُمُومِ وفَقَدَ صَبْرَهُ، وتَعَسَّرَتْ أَمَامَهُ السُّبُلُ عليه كالحلقة من كل الجوانب، ووصل إلى درجة اليأس، فرّجَ اللهُ مصيبته وكَشَفَها عنه. منوهة بأنها تشتد وتشتد.. ثم يأتي الفرج من حيث لا تحتسب؛ فكن على ثقة بالله ﷻ، فكأن الله ﷻ يسوق اليسر مع اليسر فيأتي العسر ومعه اليسر. وإن أفضل دليل على ذلك حالة الولادة الطبيعية، ففي قمة العسر يأتي اليسر من الله تعالى، ويولد لجنين صارخًا إلى الدنيا، كذلك مع قمة الكرب وشدته يأتي الفرج واليسر من الله تعالى. يأتي الفرج بعد الضيق واشتداد الأمر على الإنسان؛ فعندما تبلغ الشدّة منتهاها يرزق الله عباده فرجًا واسعًا من عنده.

---

١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: المنذري | المصدر: الترغيب والترهيب | الصفحة أو الرقم: ٢/١٢١ | خلاصة حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما] | التخريج: أخرجه الترمذي (٣٥٩٨) واللفظ له، وابن ماجه (١٧٥٢)، وأحمد (٨٠٣٠).

٢ الديوان – الإمام الشافعي رحمه الله – ولرب نازلة يضيق لها الفتى.

والمؤمن يحتاج في كربته إلى هذا الاعتقاد، مع يقينه بحسن فعل ربه الكريم، وثقته بفضله العميم، وحسن ظنه به، وأن كربته خير ساقه الله إليه، وإن كان في قالب شر في ظاهر الأمر؛ فإن الدواء غالبًا مُرّ الطعم، فمن عمر قلبه بهذه الأمور هان عليه بلاؤه، وقرب انقضاؤه.

قد لا يأتي الفرج في الدنيا!

ولا يظنن ظان أن الفرج الآتي بعد الشدة يكون في الدنيا فحسب، ليس الأمر كذلك؛ فإن الشدة قد تستمر بالمؤمن إلى أن يموت بها، لكنه بموته على تلك الشدة صابرًا محتسبًا يلقى الفرج الذي لا شدة بعده، وهو دخول الجنة، ونيل رضوان الله، فهذا حبيب النجار الداعية المؤمن يقتله قومه وطئًا بأقدامهم

قال الله تعالى عنه: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس:٢٦-٢٧].

قال ابن كثير: «وقال الله له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله عنه سُقْم الدنيا وحزنها ونَصَبها»[1].

من أصول الإيمان وأركانه العظام، الإيمانُ بالقضاء والقَدَر، فكلُّ شيءٍ بقدَرِ اللهِ ﷻ، وبعلمه المحيط، ومشيئته النافذة، وهو الخالق لكل شيء، كتَب ما كان، وما سيكون، فواجبُ المسلمِ الإيمانُ بجميعِ المقاديرِ، خيرِها وشرِّها، حُلوِها ومُرِّها، نافعِها وضارِّها، لا يكون في ملكه ﷻ إلا ما يريد، وهو ﷻ غير ظلَّام للعبيد، قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر: ٤٩].

والمصائب التي تقع بالخَلْق، تَحمِل من الحِكَم الربانيَّة ما لا يكون على بالٍ، ولا تُحِيطُ به أذهانُهم؛ فأقدار الله ﷻ فيها من الحِكَم ما لا يُحصى، ومن المصالح ما لا يُجارى؛ لأن القَدَر كصفةٍ للربِّ، وأفعالِه القائمةِ بذاتِه، كلُّها خيرٌ محضٌ، وإنَّما الشرُّ في المقدَّر الواقع. وإنَّ مما آلَمَ كلَّ مسلم، ما وقع في بعض بلدان المسلمين، من الزلازل المدمِّرة، والأعاصير المهلِكة، والسيول المميتة، والحمد لله على ما قضى به وقدَّر، وحكَم وأبرَم، ولا نقول إلا ما يُرضي ربَّنا، اللهُمَّ ارحم الأموات، وأَعِنِ الأحياءَ واجبر قلوبهم، وعوِّضْهم كلَّ الخيرات والمسرَّات في حاضرهم ومستقبلهم.

ومن صبر حَمِدَ العاقبة، كما قال الله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود: ٤٩]، ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه: ١٣٢]، فالعاقبة الحميدة لأهل

---

١ تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧١).

التقوى، متى صبروا واحتسبوا، وأخلصوا لله، وجاهدوا هذه النفس، فالعاقبة لهم في الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ونحن في أشد الحاجة إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، ولزومها، والاستقامة عليها، ولو جرى ما جرى من الامتحان، ولو أصابك ما أصابك من الأذى أو الاستهزاء من أعداء الله، أو من الفَسَقة والمجرمين فلا تبالِ، واذكر الرسل عليهم السلام، واذكر أتباعهم بإحسان، فقد أوذوا، واستُهزئ بهم، وسُخر منهم، ولكنهم صبروا فكانت لهم العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، فأنت يا أخي كذلك اصبر وصابر[1].

١ مجموع فتاوى ابن باز (٢ / ٢٨٩).

كيف يأتي الفرج في الدنيا؟

قد يأتي الفرج بصورة أخرى؛ يرزقهم الله ﷻ الصبر، وهو سر طُمَأْنِينة قلوب أهل الإيمان، وانشراح صدورهم، وطيب عيشهم، برغم ما قد يكون حلَّ عليهم من أنواع المصائب؛ لأنهم فوَّضوا أمورهم لله، وتوقَّعوا من ربهم توقُّعًا يقينيًّا أن العاقبة حميدة، حتى لو فَقَدوا في هذه الدنيا أموالهم وأهليهم، وأولادهم وأنفسهم، فإنهم يرون أن العاقبة حميدة؛ لأن الله ﷻ كما يعتقدون وكما أخبر عن نفسه، لا يقضي للمؤمن قضاءً إلا وهو له خير، لكن من كان دون هذه المنزلة إذا نزل به القضاء الذي لا يسره في ظاهره، أساء ظنه بربه؛ يقولُ اللهُ ﷻ: «أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء»[1].

---

١ الراوي: واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة | المحدث: العراقي | المصدر: تخريج الإحياء للعراقي | الصفحة أو الرقم: ١٧٧/٤ | خلاصة حكم المحدث: في الصحيحين دون قوله: فليظن بي ما شاء | التخريج: أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٣٣).

وهذا من أعظم الأسرار التي توجب التفاوت بين أهل الإيمان وبين مَن كان دونهم في استقرار أحوالهم، وطيب عيشهم، وسرور خواطرهم، وانشراح صدورهم، فالقرب من الله ومعية الله ﷻ، وولايته لعبده؛ فمن كان الله معه فماذا يحتاج؟ ومن كان الله معه فماذا فقد؟ ومن كان الله معه فمن ذا الذي سيواجهه؟ ومن كان الله معه فماذا سيفوته؟ إنّ معه القوة ومعه الخير، ومعه حسن العقبى، ومعه حسن التدبير، ومعه كل شيء من تأييد الله ﷻ بحسب ما يكون في قلبه من هذه المنزلة العظيمة العالية، ولو فتَّش المسلم في نفسه، لوجد أن من أعظم ما يدخل عليه في قلبه من الأحزان والأكدار إنما هو بفوت هذا الأمر. هي الكنز العظيم الذي من وصل إليه أدرك السعادة المعجلة في الدنيا، تمهيدًا للسعادة الدائمة في الآخرة، والله ﷻ يقول: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[يونس: ٦٢ - ٦٣].

علامات اقتراب الفرج بعد الشدة

١-بداية حدوث الشدّة:

إنّ التغيير من سنّة الله ﷻ في هذه الأرض، ومن ذلك تغيُّر حال العبد من فرجٍ إلى شدةٍ والعكس، قال الله ﷻ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾، [الانشقاق: ١٩]، أي ستتبدّل أيها العبد من حالٍ إلى حال، ومن فقرٍ إلى غنى، ومن صحةٍ إلى سقم، ومن شدةٍ إلى فرج[١].

٢-اشتداد الشّدّة:

قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ١١٠]، فالله ﷻ يُخبر أنّه ينزل الفرج على رسله عندما يضيق بهم الحال، وهم في أشدّ الحاجة لنصره[٢].

---

١ شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، صفحة ٢٧٩. بتصرّف.

٢ إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، صفحة ٤٢٤. بتصرّف.

وكم قصّ الله علينا من قصصٍ في رفع البلاء عن أنبيائه عندما اشتدّت عليهم الكروب؛ كإنجاء موسى ومن معه، وإغراق فرعون ومن معه، وغيرها كثير[1].

وبمجرّد أن يحدث البلاء أو الشدّة يبدأ عمرها بالنقصان، فقد جعل الله ﷻ لكلّ شيءٍ أجلًا ونهايةً معلومةً عنده، وما على المؤمن إلّا أن يستعين بالله ﷻ على قطع هذا الزّمن الذي سيعيشه أثناء هذه الشدّة[2].

٣-زياد التعلّق بالله تعالى وقت الشدّة:

إذا اشتدّت الكروب وتعاظمت على العبد، فاشتدّ معها تعلّقه بالله -عزّ وجلّ-، فوكّل أمره إلى ربّه بكشف البلاء عنه، فليعلم أنّ البلاء إلى زوال، فالله ﷻ قد كفى من توكّل عليه، وهذه هي حقيقة التوكّل على الله ﷻ[3].

فليرتبط الإنسان بربه، وليكن قريبًا منه ﷻ يستدعي رحمته ونجدته ونصرته عندما يكون في ضائقة، فاليسر جاء مع العسر ذاته في نفس التوقيت، فإذا ضاقت عليك جميعها فرجت، لأن الله ﷻ يغلق كل الأبواب؛ لأن الأصل إذا أغلقت أبواب الأسباب مع البشر لا يبقى لك إلا رب البشر، فالله ﷻ يسوق الفرج لك بسبب وبدون سبب، فلو تخلى عنك كل الناس وخدعوك وتركوك، فاعلم أن الله تعالى إنما فعل ذلك لأنه يحبك، ويريدك أن ترجع إليه.

---

١ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، صفحة ٤٩١. بتصرّف.

٢ جمال الدين بن الجوزي، صيد الخاطر، صفحة ١٧٠. بتصرّف.

٣ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، صفحة ٤٩٣. بتصرّف.

إذا قلَّبَ أحوالَك بين خيرٍ وشرٍّ، ومنشطٍ ومكرهٍ، وسراءَ وضراءَ، وشدةٍ ورخاءٍ؛ ليعلمَ ﷻ وهو العليمُ بخلقِه ماذَا تصنع؟ وبمنْ تتعلق؟ وإلى منْ تتوجه؟، قالَ ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء:٣٥]. فينبغي للعبادِ إذا نزَلَ بهم بلاءٌ أو ضرٌّ أو همٌّ أو غمٌّ، أو مرضٌ أو فقرٌ أو ضيقٌ أو شدةٌ، أن يفزعوا إليهِ ﷻ، وأن يستعينوا بِه في جميع أمورِهم؛ فهوَ الذي يَملكُ الضُّرَّ والنفعَ، والسَّقمَ والشفاءَ، والغنىَ والفقرَ، والعسرَ واليسرَ، وصَدَقَ اللهُ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٦٧].

وقالَ ﷺ: «مَن نزَلتْ به فاقةٌ فأَنزَلَها بالنّاسِ لَم تُسدَّ فاقتُه، ومَن نزلَتْ به فاقةٌ فأنزلَها باللهِ؛ فيُوشِكُ اللهُ له برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ»[١].

من أصابته فاقة، أي: فقر وحاجة ومسغبة، فأنزلها بالناس بمعنى: أنه لجأ إليهم، وتوجه إليهم لسد فاقته، ورفع حاجته، ولم يُنزل ذلك بالله ﷻ.

فالنبي ﷺ يقول: لم تُسدَّ فاقته، وهذا قول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل، وهذا وعد بالفرج لمن توجه إلى الله ﷻ وحده دون أن يتوجه إلى المخلوقين أن يعطوه، أو يدفعوا عنه، أو يرفعوا ما نزل به وحل من فاقة.

وفي شرح كتاب الصالحين للإمام بن باز: فالمشروع إنزال الحاجات بالله، والتّضرع إلى الله، وسؤاله من فضله، والأخذ بالأسباب، فعلى الإنسان أن يأخذ بالأسباب ولا يجلس: يبيع، يشتري، يزرع، يعمل كاتبًا، نجّارًا، حدّادًا، خرّازًا، إلى غير ذلك. أمَّا مَن أنزلها بالله فيُوشِك أن يُعَجِّل الله له برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ وأن يسدّ حاجته[٢].

---

١ (رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع) ورواه المنذري، في الترغيب والترهيب، عن عبدالله بن مسعود، الصفحة أو الرقم:٣٩١/٢، إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

٢ شرح رياض الصالحين – الإمام بن باز –١٨٥ من حديث: (إن المسألةَ كد يكد بها الرجل وجهه،..)

عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَن تكفل لي ألَّا يسأل الناس شيئًا، وأتكفلُ له بالجنة؟، فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا[1].

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنهَى عن سؤالِ النَّاسِ والتِماسِ الحاجَةِ مِنهُم، وذلك مِن التَّربِيَةِ على العِفَّةِ، وعلى التوكُّلِ على الله، وفي هذا الحديثِ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَن يَكفُلُ لِي»، أي: يَضمَن لي نفْسَه فِي ألَّا يَسألَ النَّاسَ شيئًا، أي: لَا يَلتَمِس مِنهُم حاجتَه، ويُعِفَّ نفسَه عن مَسأَلَتِهِم، «وأَتَكَفَّلُ لَهُ الجَنَّةَ»؟ أي: وأضمَن لَهُ الجَنَّةَ جزاءَ تعفُّفِه عن السؤالِ؛ لأنَّ تركَ سُؤالِ المخلوقينَ توكُّل على الله، ودليلٌ على قوَّةِ الرَّجاءِ والثِّقَةِ به سُبحانَه، فَقَالَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ: أنَا، أي: أنا يا رَسُولَ الله سَأَمتَنِعُ عن مَسأَلَةِ النَّاسِ، فَكَانَ لَا يَسأَلُ أحدًا شيئًا، أي: فَكَانَ ثَوْبَانُ لَا يسألُ أحدًا مِن النَّاسِ حاجَةً؛ وفاءً بوَعدِه لِرَسُولِ الله ﷺ، وجاءَ في رِوايةٍ أخرى عند أبي داودَ: فكان ثَوبانُ يقَعُ سوطُه وهو راكبٌ، فلا يقولُ لأحدٍ: ناولنيه، حتَّى ينزلَ فيَتناولَه. وفي الحَديث: مَنقبةٌ لثوبانَ مولَى رسولِ اللهِ ﷺ، والتِزامِه بوصيَّةِ النبيِّ ﷺ[2].

من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا؟ يعني: من يضمن لي ألَّا يسأل الناس شيئًا؟، و«شيئًا» نكرة في سياق النفي، فهذا للعموم، لا يسأل الناس قليلًا ولا كثيرًا بأي لون من السؤال، قال: وأتكفل له بالجنة، فهذه لا شك أنها مرتبة عالية، إذا كان الإنسان يستغني عن المخلوقين. فقلت: أنا، يعني: ثوبان ﷺ، كان لا يسأل أحدًا شيئًا. فمهما استطعنا أن نربي أنفسنا على هذه الخلة، فينبغي أن نفعل، وأن يجتهد الإنسان، ويحرص ألا يثقل على الناس، ولا ينزل بهم حاجاته، وإنما ينزل فقره ويتوجه بقلبه وسؤاله إلى الله ﷻ، فهو الذي بيده

---

١ الراوي: ثوبان مولى رسول الله ﷺ | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ١٦٤٣ | خلاصة حكم المحدث: صحيح.

٢ شرح حديث «من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا..». من موقع موسوعة الدرر السنية.

خزائن السموات والأرض، وما بأيدي الخلق فإنما هو عارية من الله ﷻ، فالملك ملكه، والأمر أمره ﷻ[1].

عن أبي الدرداء عن النبيّ ﷺ: (أنَّه سُئلَ عن قولِ اللهِ ﷻ: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ،قالَ: مِن شأنِه أن يغفِرَ ذنبًا، ويَكشِفَ كربًا، ويرفَعَ قومًا، ويضعَ آخرينَ)[2].

إذا اشتدّت الكروب وتعاظمت على العبد، فاشتدّ معها تعلّقه بالله ﷻ، فوكّل أمره إلى ربّه بكشف البلاء عنه، فليعلم أنّ البلاء إلى زوال، فالله ﷻ قد كفّى من توكّل عليه، وهذه هي حقيقة التوكّل على الله ﷻ.، انقطاع الأمل بكل ما قدم الإنسان من حيل مع البشر للتخلص من الهم والكرب، فعندها يؤذن ذلك باقتراب الفرج؛ فلا يبقى إلا حبل الله الممدود، وذلك ليلجأ الإنسان إلى ربه ويتوكل عليه حق التوكل، ويعلم حقًا أنه لا حيلة إلا بيد الله، وأن الفرج من عند الله ﷻ.

وقد تكون بعض المجريات والأحداث التي تحصل مع الإنسان من الأقدار التي تؤذن باقتراب الفرج، كتغير شيء من الحال، أو تغير بعض الظروف المحيطة بالإنسان، أو تخفيف بعض الأمور عنه في جوانب أخرى غير المصيبة التي ألمت به.

٤-التوفيق للدّعاء:

الله ﷻ إذا وفّق العبد للدّعاء فقد أجابه[3].

---

١ شرح حديث «من أصابته فاقة..»، «من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا..» من موقع الشيخ خالد سبت.

٢ رواه البزار، في البحر الزخار، عن أبو الدرداء، الصفحة أو الرقم: ٣٩/١٠، إسناده حسن.

٣ ابن أبي العز، شرح الطحاوية، صفحة ٢١٤. بتصرّف.
فالبلاء ينزل ليستخرج الدّعاءَ من العبد.
ابن أبي الدنيا، الشكر، صفحة ٤٦. بتصرّف.

والدّعاء هو من أشدّ أعداء الشّدّة والبلاء، فهو يمنع البلاء قبل أن ينزل، ويخففه إذا نزل، والدعاء القوي يزيل البلاء[1].

وإن كل من كان في حالة كرب ليس أمامه إلا المولى ﷻ، فيدعوه ويلجأ إليه، وكل من يعاني من كرب أن يدعو بالحديث الذي رواه الإمام البخاري وعنون عليه بـ«دعاء الكرب» وهو: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ورَبُّ الأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ[2].

واجبُ المسلِمِ إذا وقَعَ في كُربةٍ أو ضاقَتْ به الدُّنيا أنْ يَفزَعَ إلى اللهِ رَبِّه وإلهِه ومَوْلاه؛ فهو وَحْدَه القادِرُ على كَشْفِ الهَمّ والغَمّ، والدُّعاءُ مِن أسبابِ رَفْعِ البَلاءِ، وفي هذا الحَديثِ يروي عبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ ﷺ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَقولُ عِندَما يَشْعُرُ باشتِدادِ الغَمّ عليه، واستيلائِهِ على نَفْسِهِ الشَّريفةِ: «لا إلَهَ إلَّا اللهُ» أي: لا مَعبودَ بِحَقٍّ إلَّا اللَّهُ «العَظيمُ» القَدْرِ، الجَليلُ الشَّأنِ في ذاتِه وَصِفاتِه وَأفعالِه، «الحَليمُ» الَّذي لا يُعاجِلُ العاصيَ بِالعُقوبةِ، بَل يُؤَخِّرُها، وَقَدْ يَعْفو عَنه مَعَ القُدرةِ عليهِ؛ فهو القادرُ سُبحانَه على كلّ شَيءٍ، ثُمَّ يُكمِلُ دُعاءَه فيقولُ: «لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمواتِ والأرضِ»، أي: لا مَعبودَ بحقٍّ إلَّا اللهُ ﷻ، خالِقُ العَرشِ العَظيمِ الكَريمِ، وخالِقُ السَّمواتِ والأرضِ، وخالِقُ كُلِّ شَيءٍ فيهما، وَمالِكُه، وَمُصلِحُه، والمُتَصَرِّفُ فيه كَيفَ شاءَ، وكما شاءَ، «رَبُّ العَرشِ الكَريمِ»، والعَرْشُ: عرْشُ الرَّحمنِ الذي استوَى عليه ﷻ، وهو أعْلَى المَخلوقاتِ وأكبرُها وأعظمُها، وهذا الدُّعاءُ مُشتمِلٌ على تَوحيدِ الأُلوهيةِ والرُّبوبيَّةِ، ووَصْفِ الربِّ سُبحانَه بالعظَمةِ والحِلمِ، وعَظمتُه المطلَقةُ تَستلزِمُ إثباتَ كلِّ كَمالٍ له، وسَلْبَ كلِّ نقْصٍ عنه، وحِلمُه يَستلزِمُ كَمالَ رَحمتِه

---

١ ابن قيم الجوزي، الداء والدواء، صفحة ١٠. بتصرّف.

٢ الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٦٣٤٦ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | التخريج: أخرجه مسلم (٢٧٣٠) باختلاف يسير.

وإحسانِه إلى خلْقِه؛ فإذا عَلِمَ القلبُ هذا وتحقَّقَه أحَبَّ اللهَ تعالَى وأجَلَّه، فحصَلَ له مِن الابتهاجِ واللَّذةِ والسُّرورِ ما يَدفَعُ عنه ألَمَ الكَرْبِ والهمِّ.[1]

هذا الدعاء ثناء على الله، وطالما أنك أثنيت على الله فالله يفرج كربك، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غَافِرٍ: ٦٠]، فالإنسان طالما علم أن له ربًا يفرج الكروب، ورفع يديه إليه لا يرده الله ﷻ عن بابه أبدًا، راجيًا أن يفرّج كربَه ويكشِفَ غمَّه ويُذهِب همَّه، ويتوسَّل إليه ﷻ بما كان يتوسَّل إليه به نبيُّه ﷺ من جوامع الدعاء، كما في الحديث الذي (أخرجه الترمذي في جامعه بإسناد حسن)، عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كرَبَه أمرٌ يقول: يا حيُّ يا قيومُ برحمتِكَ أستغيثُ»[2].

التخريج: أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) واللفظ له، وابن السني في ((عمل اليوم والليلة)) (٣٣٧): كان النَّبيُّ ﷺ شَديدَ الصِّلةِ برَبِّه في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وكانتْ له أذكارٌ معيَّنةٌ في المُلِمَّاتِ والشَّدائدِ، وقد نقَلها لنا الصَّحابةُ الكِرامُ ﷺ، ومن ذلك قولُ أنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ في هذا الحَديثِ: «كان النَّبيُّ ﷺ إذا كرَبه أمرٌ»، أي: أصابَه الكَرْبُ والهَمُّ مِن أمرٍ واشتَدَّ عليه شأنُه، «قال»، أي: النَّبيُّ ﷺ: «يا حيُّ»، أي: دائِمُ البقاءِ وَحْدَه، ويَفْنى كلُّ شيءٍ غيرُه، «يا قيُّومُ»، أي: القائمُ بذاتِه، الَّذي يَقومُ بتَدبيرِ شُؤونِ غيرِه، والحيُّ والقيُّومُ هما على أكثَرِ الأقوالِ الاسْمُ الأعظَمُ للهِ ﷻ، «بِرَحمَتِك أَستغيثُ»، أي: برحمَتِك الَّتي وسِعَت كلَّ شيءٍ أطلُبُ الإعانةَ مِنك يا أَللهُ. وحياةُ القلبِ تَكونُ بتَخلُّصِه ممَّا سِوى اللهِ تعالى، والكربُ يُنافي ذلك ويَشغَلُ القلبَ؛ لذا تَوسَّلَ النَّبيُّ ﷺ إلى اللهِ باسمِه «الحيِّ»؛ لإزالةِ ما يُضادُّ حياةَ قلبِه، وبالقيُّوم؛ لإقامةِ القَلبِ على نَهْجِ الفَلاحِ.

---

١ الموسوعة الحديثية– حديث «كانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ...»– الدرر السنية.

٢ الراوي: أنس بن مالك | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي، الصفحة أو الرقم: ٣٥٢٤ | خلاصة حكم المحدث: حسن.

وفي الحديثِ: التَّوسُّلُ بأسماءِ اللهِ وصِفاتِه؛ لرفْعِ الكَربِ[1].

سيرزقك راحة البال، فالقلب المرتبط بالله، يستجيب الله لدعائه، لأن الله لا يرد من يلجأ إليه أبدًا.

– بعد الانتهاء من الدعاء يشعر المسلم بالرضا التام والهدوء والراحة، ويشعر أن الله قد سمعه.

– الهدوء والسكينة في محيط المسلم، والشعور بأن جلسة الدعاء مليئة بالسكينة والأمان.

– إذا اكتشف المسلم أن هناك كثيرًا من المعوقات والمشاكل التي تمهد الطريق، ووجد طرقًا لحلها، فهذه علامة من الله تعالى لاستجابة الدعاء. فقد يأتي الخير استجابة للدعاء، وقد يأتي بتجنب ضرر أو كارثة ونحو ذلك.

٥–الرّؤيا الصالحة:

يراها المؤمن أو تُرى له، وهو في قمّة الشدّة قد يبعث الله له ما يُبشّره باقتراب الفرج، ومن ذلك الرؤيا الصالحة، قال النّبيّ ﷺ: (لم يبقَ من النبوّة إلّا المبشرات، قالوا: وما المبشّرات يا رسول الله؟ قال: الرّؤيا الصّالحة)[2].

---

١ الموسوعة الحديثية – الدرر السنية من حديث «كان إذا نزل بِهِ همٌّ أو غمٌّ قال: يا حَيُّ يا قيُّومُ برَحمتِك أستَغيثُ».

٢ رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم: ٦٩٩٠، والمبشرات جمع مُبَشّرة، وهي البشرى التي وعد الله –تعالى– عباده بها في الحياة الدنيا، وغالبًا ما تكون البشرى خيرًا. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، صفحة ٣٧٥. بتصرّف.

الرؤيا الصالحة الصادقة التي تبشر الإنسان بزوال الهم والغم أو انفراج الأمر، وزوال الكرب، سواء كانت هذه الرؤيا من الشخص نفسه، أو من غيره من المقربين إليه، فالرؤيا الصالحة من المبشرات التي بقيت من ميراث النبوة.

٦-اشتداد الصبر:

كلّما زادت الشدّة فهي علامةٌ من علامات اقتراب الفرج، فالصبرّ لا بدّ منه للمبتلى، ولن ينفع السّاخط على البلاء تذمّره وعدم صبره، وتقدير مدةٍ للبلاء ستضرّ المُبتلَى، فالصّبر يهوّن البلاء[١].

أو يكشفه كما كشف الشدّة والبلاء عن أيّوب عليه السلام، بل أبدله مكان الشدّة فرجًا، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب[٢].

٧-التّوبة عند حدوث الشّدّة:

إنّ الذّنوب من أغلب أسباب البلاء والشّدّة التي تنزل بالعبد، فإذا قطع العبد الأسباب التي فتحت عليه أبواب الكروب فترك الذّنوب، فستنقطع عنه لا محالة[٣].

وقد كان من السّلف مَن إذا نزلت به شدّة تذكّر ذنوبه، فهانت عليه الشّدّة التي حلّت به[٤].

ملخص ما ذكرنا أنَّ الكروبَ والشدائدَ مهمَا اشتدَّتْ وتعاظمتْ فإنَّها لا تدومُ أبدًا؛ بلْ هيَ إلى نهايةٍ وزوالٍ، وإذَا أصابَ اليأسُ القلوبَ، أتَى

---

١ جمال الدين ابن الجوزي، صيد الخاطر، صفحة ١٧٠. بتصرّف.

٢ مجموعة من المؤلّفين، التفسير الميسّر، صفحة ٤٥٦. بتصرّف.

٣ جمال الدين بن الجوزي، صيد الخاطر، صفحة ١٧٠. بتصرّف.

٤ ابن أبي الدنيا، العقوبات، صفحة ٦٤. بتصرّف.

الفرجُ من علَّامُ الغيوبِ، وذَهَبَ اللَّيلُ البهيمُ وأتَى بعدَه الفجرُ الصادقُ، قالَ ﷻ: ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧﴾[الطلاق:٧]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾[الطلاق:٢،٣].

ما نزل خيرٌ إلا بفضل الله عز وجل، وما نزل بلاء إلا لحكمة سيأتيك من الله كله خير إن ما أصابك فهو بعلم الله وتدبيره، فتقبل وتصبر وتحتسب وترضى بحالك، وتصلح ما بينك وبين الله، لا تضجر بأن تتأفف على أقدار الله؛ فهذا هو الرضا، إذا عشت بالرضا فأبشر بالخير.

كل هم إلى فرج نتعلم من خلال قراءة قصص الأنبياء

ألا وإن مما يخفف الكرب عن المكروب: قراءة قصص المكروبين الذي نجاهم الله مما دهاهم؛ وهذه طريقة القرآن الكريم؛ فإن الله تعالى ذكر قصصًا كثيرة عن الأنبياء عليهم السلام؛ تسلية لرسوله محمد ﷺ حينما لقي شدائد كثيرة في دعوة المشركين وأهل الكتاب.

قال أبو حيان: « ذكرَ الله قصصًا من قصص الأنبياء وما جرى لهم مع قومهم من الخلاف؛ وذلك تسلية للرسول ﷺ، وليتأسى بمن قبله من الأنبياء، فيخف عليه ما يلقى منهم من التكذيب وقلة الأتباع، وليعلم المتلو عليهم هذا القصص عاقبة من كذب الأنبياء»[1].

---

١ البحر المحيط في التفسير (٦/ ٨٦).

وقال حكيم لرجلٍ رآه مَغْمومًا: «لو أحضَرْتَ قلبَك ما فيه الناسُ من المصائب، لقلَّ همُّك»[1].

وقد جرى في طبيعة الإنسان أن يسلو بأمثاله ممن شاكل حاله حالهم أو زاد عليه، فعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: قَسَمَ النبيُّ ﷺ قِسْمَةً كَبَعْضِ ما كانَ يَقْسِمُ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: واللَّهِ إنَّهَا لَقِسْمَةٌ ما أُرِيدَ بهَا وجْهُ اللَّهِ، قُلتُ: أمَّا أنَا لَأَقُولَنَّ للنبيِّ ﷺ، فأتَيْتُهُ وهو في أصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ، فَشَقَّ ذلكَ علَى النبيِّ ﷺ وتَغَيَّرَ وجْهُهُ وغَضِبَ، حتَّى ودِدْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قالَ: قدْ أُوذِيَ مُوسَى بأَكْثَرَ مِن ذلكَ فَصَبَرَ»[2].

والابتلاء مسلك العظماء؛ قال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الرجل على حسب دينه، إن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه»[3].

تذكر أن بعد الشدة فرجًا...

هذا يوسف عليه السلام، حين تقرأ سورة يوسف، لا يمكنك التوقف حتى النهاية. فكيف تستطيع التوقف والأحداث تلهب مشاعرك كلما قرأت أكثر، ووقع حدث ما ليتبعه آخر وثالث ورابع حتى نهاية السورة، لتخرج في النهاية بروح معنوية عالية، أُلقي في غيابة الجب، وبيع بثمن بخس دراهم معدودة، ثم اتهم في عرضه، وسجن ظلمًا، ضيق بعد ضيق، وشدة بعد شدة، لكن العاقبة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف: ٢١].

---

١ (الذخائر والعبقريات) (١/ ٢٣٥).

٢ الراوي: عبدالله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: ٦١٠٠ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح] | التخريج: أخرجه البخاري (٦١٠٠)، ومسلم (١٠٦٢).

٣ الراوي: سعد بن أبي وقاص | المحدث: المنذري | المصدر: الترغيب والترهيب | الصفحة أو الرقم: ٢٢١/٤ | خلاصة حكم المحدث: [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما].

فاعلم أن بعد الشدة فرجًا...

لا يستشعرها إلا من سمع أو قرأ أو عايش ظلمًا من نوع ما، خاصة إن كانت القوة والغطرسة هما أساس ذاك الظلم.

وهذا يعقوب عليه السلام، يُخطف منه أحب أولاده إليه، وآثرهم لديه، ثم يتبعه ابنه الثاني بعد سنين، فعَمي من كثرة البكاء والحزن على فقد ولديه، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ [يوسف: ٨٤]، **وبعد سنوات من الشدة والبلاء يعود له الولدان،** ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ [يوسف: ٩٦].

يعقوب عليه السلام، وهو الذي فقد ابنه يوسف أربعين سنة، ومع هذا لم يخالج قلبه يأس ولا قنوط، ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف:٨٧]. **فأرسلها في أبنائه رسالة خالدة أن لا يأس مع الإيمان، وإنما اليأس سمة الكافرين. هذا هو حسن الظن بالله.. ابنه غائب منذ مدة ويلحق به أخوه ولا يزال أمله بالله كبير.. ! فالمؤمن له صلابةٌ إيمانية تصد عنه أحداث الحياة؛ فالحياة كلها أكدار، وثباتها على حال محال، والدهر أيام، يوم لك، ويوم عليك، واليأس والقنوط سبب من أسباب فساد قلب العبد.**

فاعلم أن بعد الشدة فرجًا...

وهذا يونس عليه السلام يُلقى من السفينة، إلى بحر متلاطم الأمواج، فالتقمه الحوت، ففتح عينيه، فإذا هو حيٌّ في ظلمة بطن الحوت، في ظلمة البحر، في ظلمة الليل، ظلمة وسط ظلمة وسط ظلمة ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[الأنبياء: ٨٧]، قال الله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾[الأنبياء: ٨٨]

وليعلم المسلم أن الكربة مهما طالت فإن فرج الله قريب، وأن المؤمن يؤمن بأقدار الله خيرها وشرّها، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فعليه أن يتمسك بحبل الله المتين، وبنوره المبين.

فاعلم أن بعد الشدة فرجًا...

وهذا أيوب عليه السلام يطول به البلاء، وتنتشر في جسده الأمراض والأدواء، ويطول به الأمر حتى هجره الناس وتركوه، وابتلى في جسده بأنواع من البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله سبحانه وتعالى بهما. وهو في ذلك صابر محتسب، ذاكر الله سبحانه وتعالى في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه، وطال مرضه حتى عافه الجليس، وأَوْحَشَ منه الأنيس. ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾[الأنبياء: ٨٣] قال الله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾[الأنبياء: ٩٠]. من أهم العبر نجاح أيوب عليه السلام في الاختبار، لأن الله سبحانه وتعالى قال في آخر الآيات: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾[ص: ٤٤]. فابتلاه الله سبحانه وتعالى بأن سلب منه جميع ماله، وأهله، وأصبح مريضًا ضعيفًا... فكيف يكون حال الإنسان إذا عاد فقيرًا بعد غنى، وضعيفًا بعد قوة، ووحيدًا بعد أهل وذرية؟

ومن العبر: قصة أيوب عليه السلام تذكرة لمن ابتلى في جسده أو ماله أو ولده، فله أسوةٌ بنبيِ الله أيوب عليه السلام، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك، فصبر واحتسب، حتى فرّج الله عنه؛ وهذا الفرج لمن صدق مع الله سرًّا وجهرًا، واتقى الله سبحانه وتعالى.

فاعلم أن بعد الشدة فرج...

وهذا زكريا عليه السلام، طال عيشه، ولم يرزق بالولد، كبر سنه، ورَقَّ عظمه، وهَزُل لحمه، واشتعل رأسه شيبًا، لكنه لم يترك دعاء الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران: ٣٨-٣٩].

أحيانًا يتعلق الإنسان بأمر من الأمور، ويسعى لتحقيقه سعيًا حثيثًا، ولكنه يفاجأ أن أسباب الدنيا تحول دون تحقق هذا المراد، وتغلق في وجهه الأبواب، في هذه الحالة ماذا على الإنسان أن يفعل؟ عليه في هذه الحالة أن يقف على باب الكريم داعيًا متضرعًا، فإذا عجزت الأسباب عليك بالتعلق بمسبب الأسباب، الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف دون مراده مخلوق، سيدنا زكريا عليه السلام وقفت أسباب الدنيا دون مراده، فلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فأعطاه الله سبحانه وتعالى بلا كيف وبلا أسباب.

فاعلم أن بعد الشدة فرج...

وهذه أم موسى عليه السلام، التوتر والقلق والجزع والخوف كان قد بلغ بأم موسى مبلغًا لا يمكن وصفه بكلمات وعبارات. كانت أم موسى تعلم أن وليدها قد يُذبح بعد ولادته، وخاصة بعد قرار فرعون بذبح أطفال بنى إسرائيل بعد علمه بأن وليدًا منهم سيزيحه عن ملكه. مشاعر أم تحمل جنينًا تدري مسبقًا مصيره. إن كان ذكرًا فمصيره الذبح على يد القوى الأمنية التي كانت تتجسس على قوم موسى، تنفيذًا لأوامر الفرعون. وإن كانت أنثى، فإن مصيرها الإذلال والعمل في خدمة فرعون وآله.. يولد موسى عليه السلام، وأمن فرعون بعدُ لم تبلّغهم مصادرهم بذلك، فتحتار أمه في تلكم الساعات. كيف تتصرف معه؟ إنه ميت ميت لا محالة. ولد موسى وكل الأخطار تحدق به وبأسرته، والموت يطل عليه من كل مكان، فالقابلات يتلصصن للإبلاغ عن كل مولود. أم موسى خائفة لا تدرى أتفرح بوليدها أم تحزن لقرب موته المحتوم، تحتار كيف تخفيه أو كيف تحجز صرخته الطفولية لكيلا تصل إلى الجيران، لا حيلة لديها للدفاع عنها وليس معها سوى ابنتها. وهي في تلكم المشاعر غير القابلة للوصف بكلمات وعبارات، هنا تتدخل العناية الإلهية لإنقاذ نبي بنى إسرائيل المنتظر، وتلقي فى روع الأم تصرفًا لا يخطر ببال أحد، ولم يتكرر عبر التاريخ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾. يوحي الله لها بصورة لم يوضح القرآن كيفيتها، لكنه وحي سكن وجدانها، وتحول إلى فعل يتجسد على الأرض. تضعه في سلة وتلقيه في اليم دون تردد؛ ﴿... فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾[القصص: ٧]. سمع الله دقات قلبها المتسارعة وخوفها المتصاعد وقلقها اللانهائي، أرضعيه وأشبعيه أولًا، ولا تخافي ولا تحزني، فقدرة الله فوق الجميع ورعايته التي جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم ستحول البحر اللجي مهادًا رقيقا لموسى. إلهام من الله أن تلقي وليدها ولا تخاف من أي أذى، وأنه سيرجع إليها دون معرفة الكيفية، بل وأكثر من هذا أنه سيكون رسولًا !! أمر عجيب.

ولكن هل يطاوع قلب الأم إلقاء وليدها إلى نهر النيل، إنه الوحى الذى لا يملك المؤمن تجاهه إلا الامتثال، لقد شرف نهر النيل بكونه مهدًا حنونا لنبي عظيم من أولى العزم من الرسل. الصندوق يتوقف أمام قصر فرعون وتراه زوجته المؤمنة، فتأمر بالتقاطه، أم موسى تخاف على وليدها من فرعون فإذا به يصل إلى قصره.

وليد لا حول له ولا قوة، تلقيه أمه في البحر، ليأخذه الماء إلى من كانت تخشاهم أم موسى. يأخذه الماء إلى آل فرعون أنفسهم، بل الأعجب إلى من أمر بقتل ذكور بني إسرائيل، الفرعون نفسه! مشهد يبين لك أن هناك قوة مطلقة في هذا الكون، تفعل ما تشاء وبصورة لا يمكنك حتى تخيلها.. وبالطبع هذه المعاني لا يدركها إلا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

حزن أم موسى كان مؤلمًا لذاك المشهد، ولا يستشعره إلا أُمٌّ فقدت وليدها أو أحد أبنائها. سيطر الحزن على فؤاد أم موسى الذي أصبح فارغًا إلى درجة لم تعد تتحمل وتصبر أكثر، لولا أن ثبتها الله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص: ١٠].

عاد الحزن والألم والكرب يدق باب قلب أم موسى على وليدها الغائب، لا تدرى ما تقول أو تفعل، وهل ما فعلته كان صوابًا أم خطأ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ أعظم تعبير قرآني يعبر عن خلجات نفسها. ﴿فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ لحظات تمر بكل إنسان يمر بكرب شديد لا يدرى ماذا يصنع فيه، يتوقف عقله عن التفكير في الحل. ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾، فمن شدة حيرتها كادت أن تهتف في الناس هذا طفلي، هذا صغيري، أنا الذى ضيعته، ولكن الذى أوحى إليها بالإلقاء فى اليم ربط على قلبها وثبتها

بالصبر والرضا. وبدلًا من الخروج بنفسها، دفعت بأخت موسى للقيام بمهمة التقصي والبحث، وأمرت ابنتها أن تقتفي أثره في حذر وحيطة، وإذا بالألطاف الربانية تتدخل لتعيد الوليد إلى أمه: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، فوصلت بقدرة الله إليه، بعد أن تم الإعلان عمن يمكنها القيام بأمر رضاعة طفل وليد يرفض أن يرضع من كل من تم استقدامهن لهذه المهمة، فأسرعت إلى أمها تزف إليها الخبر، عاد الطفل الغائب إلى حضن أمه الدافئ بتدبير رباني؛ حيث رفض كل المراضع حتى أرشدتها أخته إلى أمه. فكان ما كان من أمرها مع وليدها، وتحقق لها وعد الله أمامها ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ...﴾.

فعلمت أن بعد الشدة فرجًا...

شعور يتكرر مع كل أم شهيد أو مريض أو مصاب بالسرطان، أو مات أو أصيب في حادث بشع تكاد تهلك من الجزع والصدمة أو قد يرهقك ابنك ويتعبك حتى يسول لك الشيطان أنه لا خير فيه، وفجأة يبدل الله حاله إلى أحسن حال، ويرده إليك ردًّا جميلًا. فلا تيأس: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الصافات: ٨٧].

وإذا برحمات الله وبركاته تهدهد قلبها ويربط عليه برباط الصبر واليقين. وهذا موسى عليه السلام مع فرعون، الأول ضعيف مظلوم، ومعه ألوف مثله، والثاني ظالم متجبر، شتت شملهم فرعون يذبّح أبناءهم ويستحي نساءهم. ومعه آل فرعون الذين كانوا على الطريق معه في الظلم والتجبر والطغيان. لكن النهاية السعيدة ستكون للمظلوم، في إشارة لطيفة تؤكد أن الظالم مهما تجبر وعلا وفسد

في الأرض، فالنهاية ليست له، وأن العبرة دومًا بالخواتيم. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥]. ثم تبدأ التفاصيل التي تبين لك وتعطيك شحنات قوية من الإيمان، ملخصها أن الظلم والظالمين، مهما بلغت قوتهم وبأسهم ماديًا ومعنويًا عبر وسائلهم المختلفة، والمالية والأمنية، فإن هناك دومًا وأبدًا قوة أعلى هي من بيدها الأمور، تفعل ما تشاء وقتما تشاء وأينما تشاء.

في حياة موسى عليه السلام، في فترة الشباب والاستواء وحصول الحكمة، والأحداث التي جرت وخروج موسى من مصر إلى مدين وزواجه حتى تكليفه بأمر الرسالة، ومواجهة الظلم والظالمين، هي المشاهد التي ينتظرها كل مظلوم، يعزز بمثلها إيمانه وعزيمته في مواجهة الظلم والظالمين. تحدث المواجهة بين موسى ومن معه، ويبدأ يتجمع حوله من الأتباع المؤمنين برسالته ودعوته، لتبدأ قوة الله الخيرة المطلقة بالوقوف هذه المرة مع المؤمنين المظلومين.على رغم أن هؤلاء المظلومين كانوا قبل موسى يعيشون الوضع نفسه، بؤس وقهر وظلم وتجبر واقع عليهم من فرعون وآله، فلماذا لم تقف القوة الإلهية معهم وتنصرهم؟ حين كان بنو إسرائيل يؤدون ضريبة الذل لفرعون وهو يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، لم تتدخل يد القدرة لإدارة المعركة فهم لم يكونوا يؤدون هذه الضريبة إلا ذلًا واستكانة وخوفًا. فأما حين يستعلي الإيمان في قلوب الذين آمنوا بموسى ويجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون دون تلجلج، ودون تحرج، ودون اتقاء التعذيب. فإنه عند ذلك ينصرهم الله سبحانه وتعالى، وقد تم قبل ذلك في الأرواح والقلوب.

فعلموا أن بعد الشدة فرجًا...

في زَمنِ الابتِلاءاتِ وَالفِتَنِ، وَحينَ يتَسرَّبُ اليأسُ إلى بَعضِ النُّفوسِ، تَحلُو قِراءَةُ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَتَدَبُّرُ قَصَصِ الأَوَّلينَ وعِبَرِ السَّالِفِينَ، فَلمَّا استُضعِفَ المسلمونَ بِمكَّةَ وَأُوذُوا، وَتَكبَّرَ المُشرِكونَ، أنزَلَ اللهُ ﷻ عَلى المُسْلِمينَ آياتِه، تُقَرِّرُ أَنَّ هُنَاكَ قُوَّةً وَاحِدَةً فِي الوُجُودِ، هِيَ قُوَّةُ اللهِ ﷻ الذي لَهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ، وَأَنَّ هناكَ قِيمَةً وَاحِدَةً هِي قِيمةُ الإيمانِ! فمَن كانَ اللهُ معَهُ فَلا خَوفَ يعْتَرِيهِ ولَو كانَ بمفرده! فبعد الشدة يكون الفرج.

وهذا نبينا محمد ﷺ يُهاجَم من كفار قريش وصناديدها، ويُتهم في عقله، يصلي عند الكعبة، فتُلقى على عنقه الأوساخ والقاذورات، حُبس في شعب من شعاب مكة ثلاث سنوات فلم يتوقف عن الدعوة، وسخروا منه، وقالوا: ساحر وكذاب ومجنون فأعرض عنهم؛ فأخرجوه من بلده مكة: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ...﴾ [التوبة: ٤٠]، يطارده قومه، في مشهد هو ما وقع لموسى عليه السلام نفسه. يخرج من مكة طريدًا، فيتبعه الكفار ويقاتلونه في عدة معارك، فأكمل إبلاغ رسالة ربه في بلد آخر.

وفي بدر يرى كثرة المشركين ويقول: «إني أريت مصارع القوم». وانهزم في أُحد وسار إلى خيبر للقتال، وتجمعت عليه الأحزاب في غزوة الأحزاب، ثم سار إلى مكة لفتحها، وانهزم في حنين، وغزا الروم في تبوك، وكسرت رباعيته، وشُجَّ رأسه، وسال الدم على وجهه، وسحره اليهود، ووُضِع له السم، وربط الحجارة على بطنه من شدة الجوع، ورُمِي في بيته بالإفك، ومات ستة من أولاده، ولم يبقَ له من أولاده سوى فاطمة رضي الله عنها فما صدَّه ذلك عن نفع الناس بالعلم والنور، وأثنى الله على صبر الرسل وعزيمتهم بقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[الأنبياء: ٧٣].

فبعد الشدة يكون الفرج...

وهؤلاء الصحابة ﷺ أُخرِجوا من ديارهم، فما وهنهم الخروج عن نصرة الدين؛ فجعل الله كنوز كسرى وقيصر تحت أيديهم. وفي غزوة الخندق يمسهم البرد والجوع والقلوب لدى الحناجر من الخوف، وصبروا لإبلاغ دين الله، وأصابهم مصابٌ جلل؛ وهو وفاة النبي ﷺ، فلم يقف حزنهم على موته عائقًا دون استمرارهم في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله؛ فساروا على نهج النبي ﷺ جيش أسامة، فقاتل المرتدين وقاتل مانعي ﷺ في حياته، فأنفذ أبو بكر الزكاة، ونصر الله الإسلام، وأظهره على الدين كله، وخضعت أمم الأرض ودخلت في دين الله أفواجًا.

فبعد الشدة يكون الفرج...

هكذا علم القرآن صحابة رسول الله ﷺ الثبات وتحمل الأذى والصبر، واتخاذ كل أسباب مقاومة الهم والغم، حتى إذا نفدت وسائلهم المادية والمعنوية، دون أدنى شك منهم في معية الله لهم ووعدهم بنصره ولو بعد حين، حينها فقط تتنزل العناية الإلهية وتتدخل يد القدرة المطلقة لتدير معركة الحق والباطل، لترجح كفة الحق وينهزم الباطل، الذي مهما علا وتجبر وشعر أنه الأقوى وبيده مقاليد الأمور، يفسد ويتجبر ويسفك الحرث والنسل، إلا أنه مهزوم خائب لا محالة، ونهايته بائسة دون أدنى ريب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[الشعراء: ٢٢٧].

دين الله متين، والله ناصره وناصر أتباعه؛ قال ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[المجادلة: ٢١]، ولئن ضعف المسلمون في زمنٍ فالله ناصرهم إن عادوا إليه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وإن انكسر المسلمون في موقفٍ فهم المنتصرون وإن انهزموا. ومحنة المؤمن خفيفةٌ منقطعة،ومحنة

الكافر شديدةٌ متصلة؛ قال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]، **وفرح الكافرين بالنصر على الضعفاء هو ذلٌ لهم؛ قال ﷻ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المجادلة: ٢٠].

قال ابن القيم رحمه الله: «ما يصيب الكافر من العز والنصر دون ما يحصل للمؤمنين بكثير، بل باطن ذلك ذلٌ وكسرٌ وهوان وإن كان في الظاهر بخلافه»(١).

وإمهال الله لظلم الكافرين ليزدادوا من الإثم والهوان: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

والله بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل...

١ ص١٨٨ – كتاب إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ت الفقي – الثالث عشر تابع – المكتبة الشاملة.

المراجع:

1. شرح الأحاديث من الدرر السنية

2. شرح: حديث دعاء الكَربِ: (لا إله إلا الله العظيم الحليم) موقع موسوعة الدرر السنية.

3. عشرة مفاتيح للفرج بعد الشدائد
طريق الإسلام.

4. الفرج بعد الشدة
أسامة بن عبد الله خياط.

5. الفرج من كل ضيق
خالد بن عبد الله الشايع.

6. كل ضيق بعده فرج
الشيخ أ.د عبد الله بن محمد الطيار.

7. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[القصص: ٥]
الإسلام أونلاين.